مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، م١٤ (٢)، ص ص ٥٤١ - ٥٦٢ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

رحلة كتاب سيبويه من البصرة

الدكتور عوض بن حمد القوزي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

يقدم هذا البحث دراسة تأريخية لانتقال كتاب سيبويه من البصرة، ويرصد حركة تداوله بين طلاب العربية منذ عهد سيبويه حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ويثبت أن سيبويه لم يستطع نشر كتابه، كما أن تلاميذه أيضا لم ينهضوا بذلك. فبالرغم من أن تلميذه الأخفش الأوسط كان أعلم الناس بالكتاب وأنه كان الطريق الوحيد إليه، إلا أنه لم يقيَّض له خدمة هذا الكتاب كما هو متوقع منه. كما يكشف البحث عن حقيقة مهمة، وهي أن الكسائي - وهو خصم سيبويه القوي - ربما كان أوّل نحوي يحمل الكتاب خارج حدود البصرة. وكانت النقلة الأولى للكتاب إلى بغداد دون غيرها من حواضر العالم الإسلامي، ففيها يقيم الكسائي، وإليها انتقل الأخفش الأوسط ومن جاء بعده من النحاة. لكن الكتاب ظل مطرحا بها، لاينظر فيه أحد، حتى قدم إليها المبرد، فوضحه للناس، وبينه، ونبههم إلى أهميته وأذاعه فيهم، فكان هو النحوي الذي نشر الكتاب حقًّا.

الحديث عن انتقال الكتاب يدعونا إلى الحديث أولا عن مؤلفه، ثم التعريف بالكتاب نفسه. ونظرا لشهرة سيبويه وكتابه فإن هذا البحث لن يقف طويلا عند التعريف بهما.

المؤلف

هو سيبويه، واسمه عمرو بن عثمان بن قَنبر، مولى بني الحارث بن كعب، يكنى أبابشر، كما يكنى أباالحسن[١]. وسيبويه في الفارسية تعني رائحة التفاح[٢]، قيل إن أمه كانت ترقصه وهو صغير بذلك[٣]. وهو فارسي الأصل، من مدينة البيضاء[٤] ونشأ

بالبصرة، بدأ حياتـه العلمية بطلب الحـديث والفقـه، ثم تحول إلى النحـو، فلزم الخليل بن أحمد الفراهيدي وأفاد من علمه كثيرا، وأخذ عن عيسى بن عمر الثقفي، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، ويونس بن حبيب.

كان سيبويه حسن الخلق، جلدًا في طلب العلم، الأمر الذي جعله يحتل مكانة مرمـوقـة عنـد أستـاذه الخليل، فقد روي أن الخليل كان يحييه بقوله، «مرحبًا بزائر لايُمَلُّ»، وهي تحية لم يؤثر عن الخليل أن حيا أحدا من تلاميذه بمثلها[٥]. وهو إلى جانب ذلك سنيّ المذهب.[٦]

برع سيبويه في اللغة والنحو، وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد، كما لم يلحق به من بعده،[٧] وكما اشتهر سيبويه بالإمام في ميدان العربية، فقد عرف كتابه باسم **الكتاب**[٨] تمييزًا له عن غيره من الكتب، وكان الناس يدعونه قرآن النحو.[٩]

عندما اشتد ساعده، وصلب عوده، تشوف سيبويه إلى الشهرة، فقدم إلى بغداد أيام الرشيد. قيل إن هذه الزيارة أقلقت الكسائي مؤدب الأمين والمأمون، ومؤدب أبيهما الرشيد من قبل،[١٠] ولو لم تكن شهرة سيبويه قد تجاوزت حدود البصرة لما شق أمره على الكسـائي. ولولا خوف الكسائي من منافسه سيبويه، لما لجأ إلى جعفر بن يحيى بن برمـك والفضـل أخيه قائـلا، «أنا وليكما وصاحبكما، وهذا الرجل إنما جاء ليُذْهِبَ محلّي.»[١١] واستصراخ الكسائي هذا اعتراف منه بطول باع سيبويه في علوم العربية، لكن الخوف على الجاه وزوال المنزلة جعلا الكسائي يضع الأمر في نصابه، ويعترف ضمنًا بمقدرة سيبويه العلمية. هذا الاستصراخ من الكسائي يأتي على غير عادته، فهو محبّ للفخر، مباهٍ بعلمه، متعالٍ في كثير من الأحوال،[١٢] فتراه وقد عرض للأصمعي مرة فأغلظ له في القول في رواية لبيت من الشعر إذ قال له، «اسكت ليس هذا من صنعتك،»[١٣] بل إنه هو الذي يقول مفاخرًا، «وهل مع العالم من العربية إلا فضل بصاقي.»[١٤]

وكُتب التراث تروي المناظرة التي دارت بين سيبويه والكسائي[١٥] وتذكر كيف أن سيبويه رجع إلى البصرة دون أن يحقق شيئا من طموحاته، ثم أنه مات بعد ذلك بقليل، دون أن يصل إلى منصب كان قد أمّل، كما أنه بالطبع لم يستطع نشر كتابه ولا مذهبه النحوي في بغداد، دار الخلافة العباسية.

كيف انتشر الكتاب

إذا كان لم يُقَدَّر لسيبويه نشر كتابه في بغداد، وأنه عاد إلى البصرة حسيرا، فكيف قدِّر لكتابه الانتشار؟ ومن الذي نهض بهذا العبء بعده؟ المتتبع لكتب التراث يصدم عندما يجدها تتناقض في نقل أخبار السلف، فابن النديم مثلاً يروي أن **كتاب سيبويه** لا يُعْلَمُ أحدًا قرأه عليه، ولكنه لما مات قرىء **الكتاب** على الأخفش[١٦] فنعلم من هذه الرواية أن سيبويه لم يقرىء كتابه لأحد، وقد نفهم أنه ربما لم يتعلم النحو عليه أحد، إلا أنا نجد ابن النديم نفسه وهو يترجم لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) يسلكه ضمن جماعة من البصريين ممن أخذ عن سيبويه، وأن سيبويه لقَّبه «قطربًا» لمباكرته إياه في الأسحار، عندما قال له يومًا، «ما أنت إلا قطرب ليل.»[١٧] وعندما ترجم للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) قال أيضا، «أخذ النحو عن سيبويه، وهو أحد أصحابه، ولقي من لقيه سيبويه من العلماء، وأنه كان الطريق إلى **كتاب** سيبويه.»[١٨]

مثل هذا التناقض يستحق التأمل والتأني في إصدار الأحكام، فكون سيبويه مات دون أن يقرىء كتابه لأحد، لا ينفي أن يكون قد أقرأ في غيره، وإذا سلمنا بذلك فلن نسلم بأنه قد أَلَّف غير **الكتاب**. وعند التسليم بهذا فإنا سنواجه أسئلة كثيرة منها:

ـ ما الكتب التي كان سيبويه يقرؤها لتلاميذه؟

ـ إذا كانت هناك كتب في النحو قبل سيبويه، وأقرأها سيبويه لتلاميذه، فلماذا لم يشر إليها سيبويه في كتابه؟ ولم لم يذكر المترجمون أسماء الكتب التي قرأها تلاميذ سيبويه عليه؟

- فيم كان الأخفش وقطرب وغيرهما يقرؤون على سيبويه؟
- وهل كانوا يتعلمون من سيبويه شيئا غير النحو؟

الحق أن سيبويه لم يترك مؤلفا غير **الكتاب**، ولم يعرف عنه أنه برع في علم غير العربية، ومادام له مريدون فهو بلاشك كان يعلِّمهم فيها، وبلا ريب كان كتابه هو مادة الدرس. وسيبويه ورث علم العربية عن شيوخ العربية البصريين، فهو يشير إلى آرائهم فيخالفها تارة، ويوافقها أخرى، إلا أنه لا يشير إلى كتبهم. وأقدم الذين يروى عنهم في كتابه: أبوبحر عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) الموصوف بأنه كان قيِّمًا بالعربية والقراءة وإماما فيهما، وكان شديد التجريد للقياس، وصفه يونس بن حبيب بقوله، «هو والبحر سواء.»[١٩] ويبدو أن سيبويه يروي عن هؤلاء العلماء ما تناقلوه مشافهة دون أن يكون قد قرأ آراءهم في كتاب؛ لا أعتقد أنه وقع على كتابيْ أستاذه عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ/٧٦٦م) اللَّذين ألفهما في النحو، الموسومين **بالجامع والإكمال**، اللَّذين قال فيهما الخليل بن أحمد[٢٠]:

ذَهَبَ النَّحْوُ الَّذِي جَمَّعْتُمُ غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عِيْسَى بنُ عُمَر
ذَاكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ وَهُمَا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَر

أقول: لا أظن أن سيبويه قرأ هذين الكتابين، يضاف إلى ذلك أن أولى كتب البيبلوجرافيا تؤكد أنهما فُقِدَا منذ مدة طويلة، وأنه لم يقع أحد عليهما، بل ما خبر أحد أنه رآهما.[٢١] ويؤكد هذا الزعم أبو البركات الأنباري إذ يقول، «وهذان الكتابان لم نرهما، ولم نر أحدا رآهما.»[٢٢]

وإذا كان سيبويه لم ير كتابيْ أستاذه، فمن المستبعد أن يكون قد اطلع على تعليقات أبي الأسود الدؤلي المشتملة على بعض الأشعار، وشيء من النحو والحكايات والأخبار.[٢٣] ولست بصدد القول بأن ماترك أبو الأسود لم يكن ليبل غليلًا، أو يقنع طالبا للنحو نهمًا كسيبويه، لأن أبا الأسود لم يكن عمله غير فتح باب العربية، ليلج منه شداتها والمتعلقون بها، وهو عمل وإن بدا يسيرا في أعيننا اليوم، فإنه كان جليلا

بالقياس إلى نشأة العلوم. إن ما يُطمأنّ إليه هو الأمانة العلمية التي يتمتع بها سيبويه، فهو يسند الرواية إلى قائلها، ولا يدعي رأيا ليس له، كما لا يتقول على أحد. فهذا يونس بن حبيب وقد ذُكِرَ عنده سيبويه يقول، «أظن هذا الغلام يكذب على الخليل، فقيل: قد روى عنك أشياء فانظر فيها، فنظر فقال: صدق في جميع ما قال هو قولي.»[٢٤]

كتب التراث التي وصلت إلينا تضن بذكر أسماء الكتب المتداولة في عصر سيبويه وخاصة ما يختص منها بفنون العربية، ثم مالنا نذهب بعيدا والعلماء يصفون كتاب سيبويه «بأنه لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده.»[٢٥]

أعود فأزعم أن سيبويه لم يكن يقرىء تلاميذه في غير كتابه وهو إن لم يكن حينئذ قد وضعه في الصورة النهائية التي يريدها له، فلا شك أن مادته كانت هي مائدة الدرس النحوي، وهي التي نقلت إلى الخلف عبر طريق واحد، وقناة لا ثاني لها، إنها طريق تلميذه الأخفش سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) المعروف بأنه أحذق أصحاب سيبويه، وأسن منه، وأنه الطريق إلى كتاب سيبويه،[٢٦] وهو وارث علم سيبويه الذي لم يسند الكتاب إلا بطريقه.[٢٧] والذي يبدو أن سيبويه لم يكن لديه كثير طلاب، وإلا لكان انتقال الكتاب من أكثر من جهة، وربما كان هذا العامل هو الذي جعل أباعمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) وأبا عثمان المازني (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) يتوهّمان أن أبا الحسن الأخفش قد همّ أن يدعي الكتاب لنفسه، ودفعهما إلى الاحتيال لإظهار الكتاب ومنع الأخفش من ادعائه، بذلا له مالا على أن يقرئهما الكتاب، فأجابهما إلى ذلك، ومن ثم أظهرا الكتاب وأنه لسيبويه.[٢٨] وهذا بدوره دليل على أن الكتاب لم يكن معروفا في الأوساط العلمية إبان حياة سيبويه. وأن سيبويه نفسه لم يقدر على نشره لا في بغداد عند زيارته لها، ولا في البصرة حيث كان يعيش وأنه لم يظهر للناس إلا بعد وفاته، وأن الأخفش الأوسط هو الذي تحمل عبء نشر هذا الكتاب.

والأخفش كان يوصف بأنه من أوسع الناس علمًا، الأمر الذي أهّله لأن يكون أستاذ البصريين والكوفيين على السواء.[٢٩]

أما كونه أستاذ البصريين فهذا لا جدال فيه، فهو بصري، قرأ كتاب سيبويه واهتم به شرحاً وتبييناً وإقراءً، لكن كيف أصبح أستاذًا للكوفيين؟ هل أسلم له الكوفيون زمام القيادة وهم الذين تنكروا لشيخه من قبل؟ هل جاء الأخفش بنحو يفوق نحو الكتاب لتقطع على الكوفيين سبل الحجاج؟ أو تراه بلغ هذه المنزلة بما أثر عنه من التنبيه على عوار الكتاب؟[٣٠]

الذي يبدو أن صلة الأخفش بالكوفيين بدأت بعد وفاة سيبويه، ولم تقم على مبدأ الانتقام لشيخه كما تصورها بعض كتب التراث.[٣١] لكنها بدأت عندما زار الكسائي البصرة ولقي الأخفش، فسأله أن يقرئه كتاب سيبويه، ففعل، وكافأه عليه.[٣٢] فإن صحت هذه الرواية، فإن الكسائي يكون أول كوفي يقرأ كتاب سيبويه، وعندئذ لاشك في أنه اصطحبه معه إلى بغداد حيث يقيم.

وبالرغم من استقرار الكسائي في بغداد، فإنه كان يفد إلى البصرة بين الحين والآخر، فمرة وفد إليها ولقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته، وأعجب بعلمه.[٣٣] وعرج على البصرة عندما عاد من البادية لم يكن له هم غيرها وغير الخليل، لكنه وجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس بن حبيب فجرت بينهما مسائل،[٣٤] ويزورها مرة ثانية وهو مع المهدي، فيجتاز بحلقة يونس، فيمتحنه يونس في مسألة نحوية يعجب بعدها يونس بمقدرته العلمية فيشهد أن الذين رأسوه إنما رأسوه بحق.[٣٥] ويجتاز به مرة ثانية في حلقته بالبصرة فيناظره مناظرة النِّد.[٣٦]

إذن فزيارته للبصرة، ولقياه الأخفش فيها، وقراءته كتاب سيبويه عليه ليست مما يخرج عن المنطق والمألوف. والذي يبدو أن هذه الزَّورة وطَّدت العلاقة بين الرجلين، وجعلت الكسائي يقدر للأخفش قدره، ويحسب له حسابه، فيعرض عليه أن يكون

معه غير مفارق له، وأن يتولى تأديب ولده، ليتخرجوا على يديه، وقد أجابه الأخفش إلى ذلك، وانتقل إلى بغداد ليتولى العمل الجديد في كنف الكسائي شيخ الكوفيين ومؤدب الأمراء العباسيين.

والذي يبدو أن الكسائي كان أحس بصعوبة **الكتاب**، وقدرة الأخفش على فك معمياته، بله تفوقه في العربية وما يتعلق بهما من فنون، فتراه يسأل الأخفش بين الحين والآخر بمثل قوله، «هذا الحرف لم أسمعه فاكتبه لي،»[٣٧] ويبلغ به الأمر إلى أن يسأله أن يؤلف له كتابا في معاني القرآن الكريم فيفعل، فيتخذه الكسائي إماما، ويعمل عليه كتابه في المعاني، ثم يأتي الفراء فيعمل كتابه في المعاني عليهما.[٣٨]

ويظهر أن الكوفيين أدركوا قيمة **الكتاب** العلمية فأخذوا في التماسه، وتجاوز ذلك الاهتمام الكسائي إلى تلاميذه، فالفراء يخبىء بعض **الكتاب** تحت وسادته التي كان يجلس عليها،[٣٩] فهو بلاشك كان يقرأ **الكتاب** سرًّا، مثله مثل أستاذه الكسائي، والأخفش عندهم جميعا، «سيد أهل اللغة، وسيد أهل العربية.»[٤٠]

ورغم معرفتهم بقيمة هذا الكتاب، إلا أنه يبدو أنهم كانوا يتحرجون من الاعتراف لصاحبه بالعلم والسبق في مجال العربية، وإلا فبم تفسر قراءة الكسائي له سرًّا، ثم بم نفسر وضع الفراء له تحت وسادته، أو وجوده تحت وسادة ثعلب من بعد؟[٤١]

وهنا يحسن بنا أن نطرح هذا السؤال: هل لعب الأخفش دورا بارزا في نشر الكتاب؟ وللإجابة عن هذا نقول: إن الأخفش لم يستطع أن ينشر **كتاب** سيبويه، كما كان متوقعا. لقد حمل معه إلى المجتمع الجديد ضمن ما حمل **كتاب** سيبويه، وبدلا من أن يذيعه في الناس ويعلمه لهم، انبرى ينبههم على عواره، ثم يتركهم،[٤٢] والذي يبدو أن وراء ذلك من الأسباب ما يلي:

١ ـ بانضمام الأخفش إلى العمل في تربية أبناء الكسائي، قد يكون من المحرج له تعليمهم أو تعليم غيرهم في **كتاب** سيبويه خاصة أنه يعلم شعور الكسائي تجاه

سيبويه، مقدرا للضيافة البغدادية حقها في عدم إبراز فضائل الكتاب الذي يعتقدون أنه يخالف أصولهم النحوية.

٢ ـ في الوقت الذي وصل الأخفش إلى بغداد، كانت بغداد متأثرة بغلبة المذهب الكوفي، بالإضافة إلى أنها لم تكن بعد مركزا للعلوم بقدر ما كانت ذات ثقل سياسي.[٤٣]

٣ ـ كان الأخفش بتجر بعلمه، ويتعمد العويص، ولا يقصد إلى السهل، رغبة منه في الحفاظ على مكانته العلمية التي بوأته الصدارة في المصْرَيْن، وأسلوب الكتاب يعد عويصا، وآراؤه صعبة، وتحتاج إلى تبسيط. ولو عمد الأخفش إلى تبسيطها لما احتاج إليه طلاب العربية بعد ذلك، ولقد عرف عنه هذا الأسلوب حتى فيما كتب، فهذا الجاحظ يخاطبه بقوله، «أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة ومابالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلّت حاجاتهم إليّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة مافهموا الى التماس فهم مالم يفهموا، وإنما كسبت في هذا التدبير، إذ كنت إلى التكسب ذهبت.»[٤٤] ورجل هذا مسلكه لا يعبأ بما يحصل عليه طلابه من المعرفة بقدر حرصه على امتلاء يده دراهم، فلا عجب أن نراه يقرىء بعض تلاميذه الكتاب مرتين، ماداموا ملتزمين له بدفع الأجر الذي يطلب.[٤٥] وهذا الموقف يتجلى عندما نلحظ انتهازه للمواقف التي يمكن أن يثري منها، فهو يحدث عن ذلك بقوله، «لما دخلت بغداد أتاني هشام الضرير، فسألني عن مسائل عملها، وفروع فرعها، فلما رأيت أن اعتماده واعتماد غيره من الكوفيين على المسائل، عملت كتاب المسائل الكبير فلم يعرفوا أكثر ما أوردته.»[٤٦]

٤ ـ كان الأخفش أسنّ من سيبويه، ورغم تلمذته عليه إلا أن في نفسه شيئا على سيبويه، حتى إن سيبويه قد شعر بسوء ما يخبىء له، فقد حدث مرة أن تناظرا بعد أن برع الأخفش، ويبدو أن سيبويه انتصر عليه، فقال له الأخفش، «إنما ناظرتك لأستفيد لا لغير.» فرد عليه سيبويه قائلا، «أتراني أشك في هذا.»[٤٧]

ولعل الأخفش كان يحس بأنه أحق بالقيادة في مجال العربية من سيبويه، أو على الأقل كان يضع نفسه في منزلة لا تقل عن تلك التي تبوأها سيبويه، فقد أثر عنه قوله، «كان سيبويه إذا وضع شيئا من كتابه عرضه عليّ، وهو يرى أني أعلم به منه، وكان أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه.»[٤٨]

إن رجلا كهذا لابدّ أن يفكر في الاستقلال في التأليف دون الاعتماد على **كتاب سيبويه**، وتراه عندما ألف كتبه يغفل ذكر سيبويه، فهو مثلا في كتابه **معاني القرآن** تجاهل ذكره، وقد يعنيه بقوله «زعموا.»[٤٩] فاجتمع لديه أسباب ذاتية وأخرى اجتماعية حالت دون نشر **كتاب سيبويه**، فهو بصري نزل في ضيافة شيخ الكوفيين، وتولّى تربية أبنائه، ولربما استفاد من تجربة سيبويه نفسه حينما دخل بغداد وناظر الكسائي فلم يقدر على الظهور عليه، لعله نظر إلى هذه التجربة فلم يفكر في إعادة الكرَّة، خاصة أن آماله تتعلق بالكسب قبل النصر، ثم ماذا عليه من نشر الكتاب إذا كان هو يتمتع باحترام الكوفيين جميعا، وسبل العيش الكريم متوفرة له دون خصومة، والأبواب مفتوحة أمامه لنشر مؤلفاته في المجتمع الجديد؟

إذا كان **الكتاب** لم يقيَّض له الانتشار على يد الأخفش فإن تلميذيه «البصريين» الجرمي والمازني لم يكونا أسعد حظًّا في مجال خدمة **الكتاب**، والذي يبدو أن بروز علماء الكوفيين أمثال علي بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤هـ/٨٠٩م) والفراء (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، وهشام بن معاوية الضرير (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤م) كان من بين الأسباب التي حالت دون ظهور الأصوات البصرية، إضافة إلى ما يتمتع به الكوفيون دون البصريين من منزلة في البلاط البغدادي حينذاك. لذلك كله ظل **كتاب سيبويه** «مطرحا في بغداد ردحا من الزمان، لاينظر فيه ولا يعول عليه، حتى ورد المبّرد إليها، فبيَّنه، على علوّ قدره وشرفه، ورغَّب الناس فيه.»[٥٠]

ولم يكن **للكتاب** حظ في الانتشار لولا ماكان المبرد يتمتع به من صفات:

١ ـ فهو شيخ أهل النحو في زمانه، وحافظ علم العربية، موثوق الرواية، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر،[٥١] وكان له من براعة البيان وصحة القريحة ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق ماليس لأحد ممن تقدمه.[٥٢]

٢ ـ عندما دخل المبرّد بغداد كانت رئاسة النحاة فيها لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ/٩٠٣م) شيخ الكـوفيين في زمانه، ولم يكن لديه شيء من علم البصريين ولا مستخـرجا للقياس، ولا مطالبا له. وقد عرف عنه عدم مجاوزة أقوال الكسائي والفراء، فإذا سئل عن الحقيقة والحجة لم يغرق في النظر.[٥٣] وفي الوقت الذي يوصف المبرد بحسن العبارة، وحلاوة الإشارة وفصاحة اللسان، كان ثعلب يوصف بأنّ مذهبه مذهب المعلمين، وأنهما إذا اجتمعا في محضر حكم للمبرد على ما يظهر من فصاحته.[٥٤]

هذه الأمور جعلت الطريق أمام المبرّد سهلا للظهور على منافسه ثعلب ويسرت له التفوق عليه، فانجذب إليه طلاب العربية حتى أولئك الذين كانوا من خاصة ثعلب وقرابته. يقول أبو إسحاق الزجاج (ت ٣٢٦هـ/٩٣٧م)، «لما قدم المبرد بغداد، أتيته لأناظره، وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب وأميل إلى قولهم ـ أي الكوفيين ـ فعزمت على إعناته، فلما فاتحته ألجمني بالحجة، وطالبني بالعلة، وألزمني إلزامات لم أهتد لها، فتبينت فضله، واسترجحت عقله، وجددت في ملازمته.»[٥٥] وتروي كتب التراث خبر اتصال الزجاج بالمبرّد منذ لحظة قدوم المبرّد إلى بغداد، ووقوفه في جامع المنصور وأخذه في الإجابة عن مسائل يفهم أنه قد سئل عنها. عندها قام الزجاج من حلقة ثعلب، فتوجه إليه، وألقى عليه عدة مسائل، فأجاب في جميعها، فأعجب الزجاج من تجويده للجواب، وتقليبه وجوهه، موصولة بعللها، فقال لأصحابه، «عودوا إلى الشيخ فلست مفارقا هذا الرجل، ولابدّ لي من ملازمته فعاتبه أصحابه وقالوا: تأخذ عن مجهول لا تعرف اسمه، وتدع من قد شهر علمه، وانتشر في الآفاق ذكره؟ فقال لهم: لست أقول بالـذكر والخمول، ولكني أقول بالعلم والنظر، فكان يلازمه من تلك اللحظة.»[٥٦] وأبعد من ذلك، فإن أبا علي أحمد بن جعفر الدينوري لما عرف غزارة علم المبرد واهتمامه بكتاب سيبويه كان يخرج من بيت خَتَنِه ثعلب، متخطيا أصحابه، ويمضي ومعه محبرته ودفتره يقرأ كتاب سيبويه على المبرد. وكان ثعلب يعاتبه على ذلك ويقول، «إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل، وتقرأ عليه يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله.»[٥٧] على أن هنـاك من ألـزمـه حياؤه البقـاء إلى جوار ثعلب، فأبـوبكـر بن مجاهـد (ت

٣٢٥هـ/٩٣٦م) كان معجبا بالمبرد وحسن جوابه في معاني القرآن الكريم، ولكنه لم يترك شيخه ثعلبا، فكان يبدي أسفه لما فاته ويقول، «لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب.»[٥٨]

وصحبة المبرّد للكتاب دراسة وإقراء ترجع إلى وقت مبكر من حياته، فقد روي أنه وهو حدث السن تصدَّر في حلقة شيخه أبي عثمان المازني، يقرأ عليه كتاب سيبويه وأبوعثمان في تلك الحلقة كأحد من فيها.[٥٩]

وفي المجتمع البغدادي الجديد أخذ نجم أبي العباس المبرّد يلمع، وشهرته تشرق وتغرب، ويشتد إقبال الطلاب على حلقته، وهو يذيع فيهم كتاب سيبويه، وكان لا يتغاضى عن طلب الأجرة على التدريس حتى من أولئك الذين هرعوا إلى جواره، وهجروا شيخ الكوفة، رغبة في صحبته أمثال أبي اسحاق الزجاج الذي كان يدفع له ثلاثين درهما في الشهر مقابل إقرائه كتاب سيبويه، ذلك المبلغ الذي أبرما عليه العقد عند لقائهما لأول وهلة، وظل الزجاج ملتزما به حتى مات المبرد رحمه الله.[٦٠]

لقد نهج المبرّد منهجا صارما منذ اللحظة الأولى في التدريس، كان أول ما يأمر تلاميذه به أن يطرحوا كتب الكوفيين جانبا، ليتفرغوا لدراسة كتاب سيبويه.[٦١] ثم يفرضوا له فرضا على إقرائه لهم، إذ كان لا يعلّم الكتاب إلا بمائة دينار،[٦٢] وكان لا يعلم بأجرة إلا على قدرها، ومن أراد منه المبالغة في تعليمه فإن عليه أن يتحمل تبعة ذلك.[٦٣] ثم إنه لما اطمأن إلى مقدرة تلميذه أبي إسحاق الزجاج أخذ يكل إليه تدريس كتاب سيبويه، وكأنه إنما يعدّه للمستقبل ليورثه مسؤولية إقرائه لطلاب العربية، ويعدّه أيضا لرئاسة النحاة من بعده. فكان رحمه الله لا يقرىء أحدا كتاب سيبويه حتى يقرأه على الزجاج،[٦٤] ثم يعرض عليه ما قرأ فيصحح ماقد يكون وقع فيه تلميذه من خطأ، أو يفسر ما عجز عنه فهمه، ويعارض مانسخوا على نسخته.

وكان أبوالعباس «لايمكن أحدا من نسخته، وكان يضن بها ضنا شديدا،»[٦٥] حتى إن ابن ولاد محمد بن الوليد (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م) كان قد رحل من مصر إلى

بغداد لأخذ الكتاب عن المبرد، وانتساخه فكلّم ابنه فيه على أن ينسخه كراسة كراسة مقابل درهم عن كل كراسة، دون أن يعرف المبرد، فأجابه ابن المبرّد إلى ذلك، ثم إن المبرّد ظهر على ذلك بعد، فغضب غضبا شديدا، وركب إلى صاحب الجيش وشكا الأمر عليه وطلب معاقبته.[٦٦]

أخذت شهرة المبرد تشرق وتغرب، وأخذ الناس يفدون على بغداد ويقصدونه دون ثعلب، فقد عرفوا عنه العلم الواسع بكتاب سيبويه، لأنه قرأه على العلماء، في حين كان ثعلب قد قرأه على نفسه،[٦٧] حتى إن شيوخ بغداد ليدركون كفايته في إقراء الكتاب وينصحون الوافدين من شُدَاةِ العربية بالتوجه إلى المبرّد ثقة منهم بعلمه وخبرته في هذا الميدان. فقد حدث اليوسفي، أبوالطيب محمد بن عبدالله الكاتب قال، «كنت يوما عند أبي حاتم السجستاني، إذ أتاه شاب من أهل نيسابور، فقال: يا أباحاتم، إني قدمت إلى بلدكم، وهو بلد العلم والعلماء، وأنت شيخ هذه المدينة، وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيبويه، فقال: الدِّين النصيحة، إن أردت أن تنتفع بها تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام، (يعني) محمد بن يزيد.»[٦٨]

هذا التفوق الذي حالف المبرد لم يكن ليرضي منافسه ثعلبا إذ أوغر صدره ضد المبرّد، وجعله يتحاشى لقياه منذ حلَّ ببغداد، الأمر الذي دفع المبرّد إلى مبادلته المشاعر نفسها، فكثر بينهما الجدل، واشتد الخلاف، ووقعت بينهما المهاجاة، فقد قيل لثعلب مرّة: قد هجاك المبرد، فقال: بماذا؟ فقيل له بقوله:

أُقْسِمُ بِالْمُبْتَسِمِ العذب ... وَمُشْتَكَى الصَّبِّ إلى الصَّبِّ
لَوْ أَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الرَّبِّ ... مَا زَادَهُ إلَّا عَمَى القَلْبِ

فتمثل ثعلب قول الشاعر: (وقد أنشدها أبوعمرو بن العلاء):

شَاتَمَني عَبْدُ بَني مِسْمَعٍ ... فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ والعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْهُ لاحْتِقَارِي لَهُ ... مَنْ ذَا يَعضُّ الكَلْبَ إنْ عَضَّا[٦٩]

وقد اتسع الخلاف بين الشيخين مما جعل أمرهما مشهورا، وصار خلافهما مضرب المثل، فهذا قائلهم يقول:

كَفَى حَزَنًـا أنَّـا جَمِيعًـا بِبَلْدَةٍ وَيَجْمَعُنَـا فِي أَرْضِهَـا شَرُّ مَشْهَدِ
وَكُـلٌّ لِكُـلٍّ مُخْلِصُ الـوُدّ وَامِقٌ وَلَـكِنَّنَـا فِي جَانِبٍ غَيْرِ مُفْـرَدِ
نَرُوحُ وَنَـغْـدُو لَا تَزَاوُرَ بَيْنَنَـا وَلَيْسَ بِمَضْرُوبٍ لَنَا يَوْمُ مَوْعِدِ
فَأَبْـدَانُنَـا فِي بَلْدَةٍ وَالْتِقَـاؤُنَـا عَسِـيرٌ كَلُقْيَا ثَعْلَب وَالْمُبَرِّدِ[٧٠]

لكن هذا التنافس، وهذه العداوة بينهما لم تؤثر على موقف المبرّد، كما أنها لم تحل دون ورود الطلاب إلى حلقته، والتماس قراءة الكتاب تحت نظره.

وتزاحم شداة العربية على حلقة المبرد، ونبغ منهم نفر غير قليل، فمنهم من حمل الكتاب إلى بلاده البعيدة كما فعل محمد بن ولّاد، إذ رجع إلى مصر بعد أن قرأه على المبرّد في بغداد، وتصدر لإقرائه بمصر، ولشدة تعلقه به أوصى أن يدفن معه كتاب سيبويه، وبعد وفاته صار الكتاب إلى ابنه أبي العباس، وانتقل بعد موته إلى الدّقاق، وبعد موت هذا انتقل الكتاب إلى خزانة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن حنزابة بن الفرات وزير الإخشيد.[٧١]

كما أن من طلاب المبرّد من اتخذ من بغداد مقرًّا يواصل منه مجهودات شيخه في نشر كتاب سيبويه، فأبو إسحاق الزجاج، وأبوبكر بن السراج (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م) وأبوبكر المبرمان (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) كلهم أصبحوا أئمة في النحو في المجتمع البغدادي الجديد، وجعلوا كتاب سيبويه مائدة للدرس متبعين سنن شيخهم أبي العباس المبرّد الذي جعل الكتاب همّه وسدمه، وأدار عليه معظم نشاطه، فتناوله بالنقد والتحليل والشرح وجعله محورًا لتآليفه، فكتب حوله:

- كتاب المدخل إلى سيبويه.
- شرح شواهد سيبويه.
- معنى كتاب سيبويه.
- كتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه.
- كتاب فقر كتاب سيبويه.
- كتاب الرّد على سيبويه، وهو المعروف بكتاب مسائل الغلط.

ناهيك عن كتبه الأخرى في النحو، التي لم تخل من النقل أو المعارضة لبعض آراء الكتاب ولا أدل على ذلك من كتاب المقتضب الذي حفل بآراء سيبويه في أسلوب لا يختلف كثيرا عن أسلوب الكتاب ومنحاه البصري الذي أرسته مدرسة سيبويه.

لذلك يحق لنا القول: إن انتشار كتاب سيبويه الفعلي إنما كان على يد أبي العباس المبرد، بما أوتي من غزارة في العلم، وفصاحة في اللسان، وقوة في الحفظ، وقدرة على التحليل والتعليل، الأمر الذي مكن له العيش في بغداد وبوأ له مكانا عند الولاة والوزراء والأكابر، كما كان له مكانه البارز بين مريدي العربية وطالبي نحو سيبويه. استقر له الأمر في بغداد، تلك المدينة التي تنكرت لسيبويه من قبل، فغادرها دون أن يحقق لنفسه مأربها، ولكتابه الذيوع والانتشار، بغداد التي احتضنت سعيد بن مسعدة الأخفش، فشغلته عن أمر الكتاب وأغرته بما دونه من أمور، واستطاعت أن تَحُول بينه وبين نشر آراء الكتاب لكن المبرّد قبل التحدي، ووافى بغداد في الزمان المناسب ليعلن للملأ أن كتاب سيبويه هو الإمام، وأنه البحر غزارة، وأن المازني أستاذه كان على حق حين قال، «من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي.»[٧٢] أعلن المبرد أنه «لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم الأخرى مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره.»[٧٣] ومنذ ذلك الوقت وكتاب سيبويه مقدم على غيره من الكتب، حتى إنهم أصبحوا لا يعدون العالم عالما إلا إذا علموا أنه قرأ كتاب سيبويه. يقول أبوحيان الأندلسي عن أبي جعفر المالقي (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، «كان عالما في النحو، وكان لا يقرأ كتاب سيبويه، فكان أصحابنا إذا ذكر يقولون، هل يقرأ كتاب سيبويه؟ فيقال: لا، فيقولون: إذن لا يعرف شيئا.»[٧٤] وبلغ اهتمام الناس به أنهم أصبحوا يقدمونه كأحسن ما يهدي الصديق صديقه، فهذا الجاحظ يقول، «أردت الخروج إلى محمد بن عبدالملك الزيات، ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئا، ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، فقال: والله ما أهديت إليّ شيئا أحبّ إليّ منه.»[٧٥]

ومن بغداد انتشر كتاب سيبويه في البلاد الإسلامية، وحظي باهتمام هو به جدير، وأصبح هذا الكتاب المرقاة إلى فهم الكتاب،[٧٦] معروفا باسمه الكتاب بين سائر الكتب، حتى إنه كان إذا قيل: قرأ فلان الكتاب، علم بداهة أنه قرأ كتاب سيبويه، وإذا قالوا: قرأ نصف الكتاب فلا يُشَكّ أنه كتاب سيبويه.[٧٧]

رحم الله سيبويه رحمة واسعة وجزى الله من حمل إلينا عمله الجليل خير الجزاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التعليقات

(١) محمد بن النديم، الفهرست، نشره جوستاف فلوفل (ليبزج، ١٩٧١م)، ص٥١؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ١٠٦.

(٢) أبوسعيد السيرافي، كتاب أخبار النحويين البصريين، اعتنى بنشره وتهذيبه فريتس كرنكو (بيروت د.ت)، ص ٤٨؛ علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م)، جـ٢، ص٣٤٦. قيل: إن «سي» الفارسية ومعناها ثلاثون، و«بوى» أو «بويه» معناها الرائحة، فيكون معنى الاسم «ذو الثلاثين رائحة»، انظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م)، جـ١، ص٤.

(٣) أبوالبركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، ص ٦١.

(٤) مدينة البيضاء أكبر مدينة في كورة فارس (اصطخر) بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ، ينسب إليها جماعة منهم: القاضي أبوالحسن محمد بن القاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد البيضاوي الفقيه وغيره، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان (دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، نسخة مصورة عن نسخة المستشرق ويستنفيلد، د.ت.)، جـ١، ص ٥٢٩.

(٥) أبـوبكـر محمد بن الحسن الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م)، ص ٦٧.

(٦) الزبيدي، **طبقات**، ص ٦٨؛ الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٦١.

(٧) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥١؛ الزبيدي، **طبقات**، ص ٦٧.

(٨) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٦٣.

(٩) أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١٠٦.

(١٠) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٢٥٦.

(١١) الزبيدي، **طبقات**، ص ٦٨.

(١٢) أحمد مكي الأنصاري، **يونس البصري، حياته وآثاره ومذاهبه**(القاهرة: مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ١٠٨

(١٣) أنشد الكسائي الرشيد بحضرة الأصمعي قول أفنون التغلبي:

أم كيفَ يَنْفَـعُ ما تُعْـطَى العَلُوقُ بِهِ رئْـمَانَ أنْـفٍ إذا مَا ضُنَّ بالـلَّبَـنِ

قال الأصمعي: رئمانُ أنفٍ، فقال الكسائي: رئمانَ أنفٍ، ورئمانَ أنفٍ، اسكت، ليس هذا من صنيعـك. انـظر: الزبيدي، **طبقات**، ص ص ١٢٨ ـ ١٢٩؛ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د.ت.)، مادة (رأم) (رئم) والبيت من قصيدة في: المفضـل الضبي **المفضليـات**، تحقيق أحمـد محمـد شاكـر، ط٥ (القاهرة: دار المعـارف، ١٩٧٦م)، جـ١، ص ٢٦٢؛ وأوردهما عبدالقادر بن عمر البغدادي في **خزانة الأدب**، ط١ (بيروت: دار صادر، د.ت.)، جـ٤، ص ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦. انظر أيضا: ابن هشام، **مغني اللبيب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمدالله، ط٣ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٢م)، ص ٦٧.

(١٤) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ١٦٤.

(١٥) انظر مثلا: الزبيدي، **طبقات**، ص ص ٦٨ ـ ٧١؛ القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩؛ الأنباري **نزهة الألباء**، ص ٦٥.

(١٦) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥٢.

(١٧) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥٣.

(١٨) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥٣.

(١٩) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ١٢.

(٢٠) أبوالطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ٤٧.

(٢١) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٤٢.

(٢٢) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ١٥.

(٢٣) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٤٢.

(٢٤) السيرافي، **أخبار**، ص ٤٨. لما مات سيبويه قيل ليونس، «إن سيبويه ألف كتابا من ألف ورقة في علم الخليل، فقال يونس: ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه، فلما نظر في كتابه، ورأى ما حكى قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكى عنه.» انظر: الزبيدي، **طبقات**، ص ٥٢.

(٢٥) السيرافي، **أخبار**، ص ٤٨.

(٢٦) السيرافي، **أخبار**، ص ٥٠؛ ابن النديم، **الفهرست**، ص ٤٠.

(٢٧) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ١٣٣.

(٢٨) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ١٣٤.

(٢٩) أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١١١.

(٣٠) أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١١٢.

(٣١) الزبيدي، **طبقات**، ص ٧٠؛ القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٣٢) السيرافي، **أخبار**، ص ٥١.

(٣٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ط١ (القاهرة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م)، جـ١١، ص ٤٠٤؛ الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٦٨؛ السيوطي، **كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** (بيروت: دار صادر، د.ت.)، ص٣٦.

(٣٤) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٦٩.

(٣٥) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٢٦٥.

(٣٦) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٢٦٩.

(٣٧) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٣٥٠.

(٣٨) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ص ٣٧، ٤٠.

(٣٩) الزبيدي، **طبقات**، ص ٧٢.

(٤٠) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٢٩.

(٤١) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٤، ص ٨.

(٤٢) أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١١٢.

(٤٣) أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١٦٠.

(٤٤) **الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، جـ١، ص ص ٩١ - ٩٢.**

(٤٥) ابن النديم، **الفهرست**، ص٥٨؛ السيرافي، **أخبار**، ص ٩٣. ذكر الجاحظ أن أباالحسن الأخفش كان يعلم ابنا للمعذل بن غيلان يقال له: عبدالله، فكتب إلى المعذل، وقد استجفى الغلام:

أبــلغْ أبَــا عَمــرو إذَا جئْــتَــهُ بأنَّ عَبْــدَ الله لي جَافِ
قَدْ أحْــكَــمَ الأدابَ طُرًّا فما يَجْهَــلُ شَيْئًــا غَيْرَ إنْــصَــافِي

فكتب إليه المعذل:

إنْ يَكُ عبــدالله يَجْفُــوكُــمُ يَكْــفِــيكَ إلْــطَافِي وإتْحَــافِي

انظر: القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٤١.

(٤٦) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٢، ص ٣٨.

(٤٧) السيرافي، **أخبار**، ص ٤٩.

(٤٨) أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١١٢.

(٤٩) الأخفش الأوسط، سعيد بن سعدة، **معاني القرآن**، تحقيق فائز فارس، ط١ (الكويت: المطبعة العصرية، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، جـ١، ص١٩.

(٥٠) المفضل بن محمد التنوخي، **تاريخ العلماء النحويين**، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو (الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٥٥.

(٥١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، جـ٣، ص ٣٨٠.

(٥٢) الزبيدي، **طبقات**، ص ١٠١.

(٥٣) الزبيدي، **طبقات**، ص ١٤١.

(٥٤) الزبيدي، **طبقات**، ص ١٤٣؛ القفطي، **إنباه الرواة**، جـ١، ص ٤٥.

(٥٥) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، جـ٣، ص ٣٨١.

(٥٦) التنوخي، **تاريخ**، ص ٥٥؛ القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٣، ص ٢٥٠.

(٥٧) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ١، ص ص ٣٣ - ٣٤.

(٥٨) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، جـ٣، ص ٣٨١؛ الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٢١٩.

(٥٩) الزبيدي، **طبقات**، ص ١٠١.

(٦٠) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٢٤٥.

(٦١) الزبيدي، **طبقات**، ص ١١٠.

(٦٢) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٣، ص ٢٢٤.

(٦٣) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٢٤٥.

(٦٤) الزبيدي، **طبقات**، ص ١١٠.

(٦٥) الزبيدي، **طبقات**، ص ٢١٧.

(٦٦) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٣، ص ٢٢٤.

(٦٧) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ١، ص ١٤٥.

(٦٨) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٣، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٦٩) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ١، ص ١٤٠، ص ٢٤٨؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ص ١٧٣؛ الزريدي، **طبقات**، ص ص ١٠٥ - ١٠٦. وذكر عضيمة أن الزبيدي بعد أن ذكر هذه

الأشعار قال: وهذا غلط، لأن ثعلبا هو مولى بني مسمع، فالشعر الأول أنشده ثعلب، والثاني للمبرد؛ انظر: محمد عبدالخالق عضيمة، **أبوالعباس المبرد وأثره في علوم العربية** (الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٠٥هـ)، ص ١٩. إلا أن هذه الرواية ليست في كتاب الزبيدي المطبوع، ولعل الباحث وجدها في بعض أصول كتاب الزبيدي المخطوطة، أو اطلع عليها من التلخيص عن المجلة الإيطالية التي نشرت الكتاب بالعربية.

(٧٠) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ٣، ص ٢٤٤.

(٧١) ابن النديم، **الفهرست**، ص ٥٢.

(٧٢) البغدادي، **خزانة الأدب**، جـ١، ص ١٧٩.

(٧٣) محمد عبدالخالق عضيمة، **فهارس كتاب سيبويه**، ط١ (القاهرة: مطبعة دار السعادة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ١.

(٧٤) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ص ٦٢ - ٦٣.

(٧٥) أبوحيان الأندلسي، **التفسير الكبير، المسمى بالبحر المحيط** (الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د.ت.)، جـ١، ص ٣.

(٧٦) الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٦٣.

The Spread of Sībawaih's Book from Baṣra

'Awadh Ḥamad 'Alī al-Qawzī, D. Phil.
Assistant Professor, Department of Arabic, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

The research presents a historical study of the spread of Sībawaih's *Book* from Baṣra, showing its publicity among the seekers of Arabic grammar, from the time of Sībawaih until the end of the third century A.H. It shows that neither Sībawaih nor his disciples could publicize the *Kitāb*. Al-Akhfash al-Awsaṭ, the most expert grammarian of the time, was reported to be the sole way to the *Kitāb* but he could not diffuse knowledge of it.

The study brings to light the important fact that al-Kasā'ī, the most contemporary opponent of Sībawaih was probably the first grammarian to take Sībawaih's *Book* out of Baṣra. The first movement of the *Kitāb* was, certainly, to Baghdād, which was the home of al-Kisā'ī and the place to which al-Akhfash al-Awsaṭ and other grammarians moved.

However, Sībawaih's *Book* remained neglected in Baghdād until al-Mubarrad arrived there. He then explained its importance and aroused in people a desire to study it. As a result, he was chiefly responsible for spreading its fame.